

الطفل العدوانى والطفل الضحية

الطفل العدوانى:

هو الطفل الذى تملكه رغبة قوية فى السيطرة على الأطفال الآخرين وإصدار الأوامر إليهم وإذلالهم إذا شعر بأنهم أقل منه قوة أو أصغر منه سنًا. وهو يفعل ذلك لشعور ضمنى بأنه فى عالم يعاديه، وبأنه إذا لم يمارس عدوانيته فإنه قد يصبح ضحية لعالم قاس لا يرحم. ولذلك تجده لا يتعاطف مع الطفل الضحية الضعيف ويقنع نفسه بأن الطفل الضحية يستحق الوضع الذى هو فيه.

ويقع جانب من المسئولية عن تنمية هذا الشعور عند الطفل على الأهل الذين لا يرسمون حدودًا لسلوكه وإنما يشجعونه على ممارسة العدوانية ظنًا منهم أن العدوانية مظهر من مظاهر الشخصية القيادية القوية. وربما يكافئون هذه النزعة عند الطفل بشراء الهدايا له أو بإشعاره بأنه ذو هبة وسطة.

ويظهر الطفل العدوانى افتقارًا واضحًا للإحساس بالخطأ والصواب. وترجع مسئولية ذلك أيضًا على الأهل الذين لا يرسمون لأطفالهم الحدود الفاصلة بين السلوك المقبول والسلوك غير المقبول ظنًا منهم أن رسم هذه الحدود يقيد الطفل ويحد من قدرته على الإبداع.

الطفل الضحية:

يعانى الطفل الضحية درجة لا يستهان بها من عدم الشعور بالأمان. وهو كثير الحذر والحساسية ويميل إلى الهذوء ولا يظهر قدرًا كبيرًا من الاحترام لذاته والثقة بنفسه، ولذلك نجد أن له عددًا صغيرًا من الأصدقاء. وهناك أيضًا نجد أن الأهل والمعلمين يتحملون قدرًا من المسؤولية في تغذية هذا الشعور بعدم الأمان عند الطفل بتحديد أهداف غير واقعية ويدفع الطفل دفعًا إلى تحقيقها. وهم يدفعون الطفل إلى الهذوء والحساسية المفرطة وانخفاض درجة احترام الذات بالمغلاة في ردود أفعالهم لأخطائه وبرفضه وعزله والتشدد في معاملته.

وقد يعود السبب في سلبية الطفل إلى ميل الأهل المفرط إلى حمايته لأنه الطفل الوحيد مثلاً أو لأنه ضعيف انبئية أو لأن الأهل يجدون لذة في الشعور بأنهم يقومون بما يجب أن يقوموا به من حماية الطفل.

بعض نظريات تفسير العدوان

١ - نظرية التحليل النفسي

صاحب هذه النظرية هو العالم (فرويد) والذي يعتقد أن الإنسان يولد وهو مزود بغريزتين:

الأولى غريزة العدوان - الثانية غريزة الجنس.

وتظهر غريزة الجنس في إشباع الحاجات الأساسية التي تشمل الطعام والشراب والجنس، أما غريزة العدوان فتتمثل في التعبيرات والمظاهر العدوانية التي يوجهها الفرد للآخرين وإن لم تجد متنفساً اتجاء الآخرين فإنها توجه للفرد نفسه وقد قسم فرويد العدوان إلى:

أ- العدوان البديل: وهو السلوك الموجه نحو مصدر بديل لمصدر العدوان الرئيسي.

ب- العدوان المباشر وهو السلوك الموجه نحو مصدر التهديد.

ج- العدوان الخيالي:

وهو العدوان الذي يتم به توحيد الفرد مع أشخاص أو مع ممثلي السينما من خلال المشاهدات للأفلام السينمائية العنيفة أو التي تميل للعنف.

ويرى كثير من العلماء ومنهم "Ray Fman" ١٩٨١ أن هذه النظرية تقوم أساساً على مفاهيم غيبية يصعب تجربتها أو اختبارها كما أن هذه المفاهيم والافتراضات لا تفيدنا في علاج العدوان.

٢ - النظرية السلوكية

صاحب هذه النظرية العالم "ب.ف سنكر" الذى يبنى نظريته أو على افتراض أن معظم السلوك متعلم ومكتسب وبما أنه مكتسب يمكن تعديله أو تغييره.

ويشير البحث إلى أن الفرد أو الطفل يتعلم العدوان من خلال البيئة التى يعيش فيها وذلك عن طريق مشاهدة النموذج والذى قد يكون من الوالدين أو المعلم أو بطلاً سينمائياً. فحينما يشاهد الطفل أحد الوالدين مثلاً يصدر عدواناً ما فإنه بصورة غير مباشرة يميز العدوان لطفله؛ وذلك لأن الطفل سيقوم بسلوك العدوان إذا ما أتاحت له الفرصة أو إذا ما أحبط من مصدر ما. كما أشار (باندورا) إلى أن سلوك العدوان سيقوى لدى الطفل إذا ما شاهد النموذج يعزز في ممارسته للعدوان بالإضافة إلى إمكانية التقليد أو التعلم بالنموذج سيقوى إذا ما كان المقلد ذا مكانة اجتماعية مرموقة أو أنه مصدر التعزيز لهذا الطفل.

ويلخص باندورا (١٩٣٧) ما توصل إليه علماء وأتباع نظرية التعليم الاجتماعى على أن العدوان:

أ- يتم تعلم العدوان من خلال مراقبة نموذج ما.

ب- يساعد الفرد سلوك العدوان إذا ما أتيحت الفرصة لذلك في البيئة (زيادة إحباطات البيئة).

ج- يقلد الطفل عدوان النموذج (الأب، الأخ، ممثل مشهور، ...).
إذا ما رأى النموذج يعزز في عدوانه.

د- يقلد انطفل عدوان النموذج إذا كان شخصية مهمة بالنسبة للطفل
وأنه مصدر للتعزيز.

٢- النظرية المعرفية.

تشير هذه النظرية إلى أن انطفل يشكل سلوك العدوان إذا ما تعرض إلى نقص في المعلومات التي يحتاج إليها وهذا النقص في المعلومات حول قضية ما تثير لديه نوعاً من القلق وعدم التوازن *dis-equilibrium* ولنخلص من هذا التوتر والقلق قد يلجأ إلى البحث وانتقيب في البيئة المحيطة لإيجاد جواب لتلك القضية وبالتالي يعود حالة التوازن المعرفي *Equalibrium* التي تخلصه من قلقه، ولكن في حالة كون المهمة أعلى كثيراً من مستوى قدرات الفرد وتمثل تحدياً عالياً له لا يستطيع معها الوصول إلى حل فإنه يشعر معها بالقلق بالإضافة إلى أن الطفل قد يظهر سلوكاً انطوائياً وعدم تكيف مع البيئة نتيجة عدم توفر تلك المعلومات اللازمة. لذلك يرى كثير من المعالجين المستخدمين الأسلوب المعرفي في علاج العدوان ضرورة اللجوء إلى

مناقشة الطفل بأسباب هذا السلوك وتقديم المعنومات الضرورية كما يستخدم أسلوب التخيل في وصف السلوك أو المثير المسبب للعدوان وكيف يستجيبون له بطريقة عدوانية. كما يمكن استخدام أسلوب التخيل لنفس الموقف ولاستجابة له بأسلوب هادئ.

ومن هؤلاء العلماء Machin Baum الذي استخدم استراتيجية قف وفكر واستمع مع أطفال عدوانيين. وحينما يقوم الطفل بسلوك العدوان يطلب منه أن يقف وأن يفكر وأن يستمع في مسببات هذا السلوك مع إفهام الطلاب أن التسرع في الاستجابة هو سبب قوى وراء هذا السلوك. وتشير النتائج إلى أن سلوك العدوان قد تقلص لدى هؤلاء الأطفال كما أن تحصيلهم قد تحسن.

كما استخدم (Campet,al,1977) أسلوب Thin kloudly أو فكر بصوت مرتفع في معالجة أطفال عدوانيين وكان يطلب من الأطفال إعادة النظر في المواقف التي يحدث فيها العدوان وإعادة النظر في استجاباتهم لذلك.

ويفسر علماء النفس الاجتماعي العنف والعدوان من منظور المقاصد الكامنة وراء السلوك البشري، فإذا كانت المقاصد الكامنة وراء السلوك منطوية على إلحاق الأذى المتعمد بالآخرين والضرر المهلك للحرث والنسل فإن ذلك يعتبر عدواناً بحتاً.

حيث يميز علماء النفس بين أنماط السلوك العدواني فهناك السلوك العدائي Aggression Hostile ذلك العدوان الذي يستهدف ويؤدي إلى إيذاء شخص ما أو تدمير شيء ما، وقد يكون هذا العدوان لفظياً أو الاثني معاً، ثم يميزون العدوان الإيذائي instrumental Aggression ويستخدم فيه المعتدي سلوكه لتحقيق هدفاً معيناً، ويشمل ذلك دفاعه عن الذات. وهذا النمط ليس بالضرورة أن يكون مكروهاً ويرجع ذلك إلى تعليم الآباء لأبنائهم كيفية الاعتماد على أنفسهم، فالعدوان في هذه الحالة عرض ولا يعتبر هدفاً وغاية في حد ذاته وإنما يهدف إلى هدف آخر، فالعدوان إذن يتراوح بين كونه غريزة أو رد فعل أو سلوك متعلم ويهدف إلى إلحاق الضرر الجسدي أو النفسي للآخرين: كما أنه قد يكون بناءً يهدف إلى إثبات الذات والدفاع عن النفس.